بحث في

استغلال الفلول للدين واجتهاداتهم للوصول إلى السلطة

مقولتهم

خيركم في الجاهلية ... خيركم في الإسلام

د. مصطفى ثروت

الفلول ... خرجوا علينا بإقحام وتأويل الأحاديث الشريفة لخدمة أغراضهم

مستغلين في ذلك ارتفاع نسبة الأمية والانسياق المُسطح للشعارات التي تحمل طابع ديني

خيركم في الجاهلية خيركم في الإسلام

وهي بعيدة كل البعد في مضمونها عن أهدافهم!!

سأل الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم: من أكرم الناس؟ فقال: ذاك يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: عن معادن العرب تسألوني ؟ قالوا : نعم . قال : الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا أولاً: فالنبي صلى الله عليه وسلم من أفصح الناس، والذي يقرأ الحديث لا يمكن أن يفهم أن مراده عليه السلام أن الصفوة في الجاهلية ستكون صفوة في الإسلام، ولا أدري من أي لفظ يمكن أن يستفاد مثل هذا الكلام . ثانياً: من المعلوم أن هذا القول يخالف الواقع، فإنه ليس كل من أسلم وكان غنياً فإنه استمر على غناه في الإسلام، وكل من أسلم وكان فقيراً استمر على فقره، والشواهد على ذلك كثيرة. ثالثاً : معنى الحديث هو أن الناس يختلفون في الخير والشر، الطيبة والقسوة وغير ذلك من أمور الأخلاق والعادات، وقد يكون الإنسان على خير وطيبة وحسن خلق وهو كافر، إذ قد يكون كفره ليس كرهاً للإسلام وإنما لوجود عارض مانع منه، كما كان من عمر رضي الله عنه قبل إسلامه، فإنه لم يكن ليكره الإسلام ، ولذا بعد أن اطلع على حقيقته سارع إلى الإيمان. وإذا كان الأمر كذلك فإن النبي عليه السلام يبين أن خيار الناس ما كان معروفاً بالخير في الجاهلية، ثم أسلم وفقه في الدين، فلا شك أن ذلك سيزيده خيراً إلى خير فيصبح بذلك من خيار الناس. ولذا نجد أن نبينا يبين أن الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، وهي ليست متساوية وبالتالي ليس كل من يدخل في الإسلام يكون على درجة واحدة في الخيرية.

إن الرجال نوعان : الأول صاحب قضيّة والثاني صاحب «قضية» هذه خلاصة ما يحدث اليوم فأين أصحاب القضيّة اليوم ولماذا لا نرى على الساحة الإعلامية سوى أصحاب «القضية» والمتلهفين على المصالح الخاصة بالأمس كانوا فرادى وجماعات يسبّحون بحمد النظام ويمجّدون في كل فرصة متاحة لهم إنجازاته ... واليوم نفس الوجوه ونفس الأصوات تتعالى تمجيداً للثورة والشهداء بنفس اللهفة والشراهة ألهذا الحد بلغ بهم استهبال الشعب المصري؟ أم هو حبّ المناصب والسعي وراءها يعمي أبصارهم إلى درجة تجعلهم يصدقون نزاهتهم؟

لمن يتابع شاشات التليفزيون يسعد بما وصلنا إليه من حرية تعبير .... تكلم بها بعض من يمثلون ولو نسبياً رأي المواطن لكن ... تناسى هؤلاء أن الشعب المصري اليوم باختلاف مستوياته الثقافية ودرجات

الوعي لديه قد أصبح مسلحاً بقنوات معلوماتية أطاحت بنظامهم. فهل يستعصي هؤلاء على شباب «الفايس بوك» وتوازياً مع ما يطالعنا به الإعلام المصري بكافة اتجاهاته، إن مداولات المصريين على المواقع الاجتماعية تعج بالوثائق والتسجيلات التي تثبت تورط هؤلاء وموالاتهم المطلقة للنظام الفاسد بما فيهم أولئك الذين عانوا في العهد السابق والذين وصلوا إلى مقاعد في اطار مسرحية التعددية الحزبية التي تواطؤوا فيها. فهل من المنطقي أن يتحدث هؤلاء باسم الشعب اليوم وأن يتخذوا القرارات المصيرية وهم من كان يضحكون على ذقون أفراد هذا الشعب لأكثر من نصف قرن؟ ثم كيف لهم أن يفوضوا لرئيس الجمهورية ورؤسائهم منذ شهور صلاحيات فبركة القوانين؟ وأي قوانين هذه التي جعلوها عملة بوجهين أولهما ذهبي ناصع متفق عليه من طرف الجميع وثانيهما رأس أفعى بثت سمومها وشرّها في جسد المواطنين منذ 30 سنة.

مَن منا يختلف حول العفو التشريعي العام وحرية الصحافة والإعلام؟ فهي قواعد أصبحت تستمد مشروعيتها من دم هذا الشعب ومبادئ ثورة لم تكتمل بعد، أما قانون الطوارئ والضرائب (الجباية) ونفقات الدولة وما شاكلها فلا شرعية لها اليوم إذا كانت رهن إشارة أشخاص تورطوا كل التورط في النظام السابق.

أما عن خيارنا في عهد ما قبل 25 يناير وما بعده ... مع الفارق الكبير والشاسع وضآلة المقارنة بين عهد ما قبل الإسلام وما بعد الإسلام .. فإليكم النصوص الواردة بالحديث الشريف والقرآن الكريم لتوضيح الأساس المنطقي للأفضلية التي نبتغيها ... فنحن كمصريين لا نبتغيها عوجاً !!

قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم : الناس تَبَعٌ لِقريش في هذا الشأن؛ مُسلمهم تَبَعٌ لمسلمهم ، وكافرهم تبع لكافرهم، والناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا. رواه البخاري ومسلم . وفي رواية لمسلم: الناس تَبَعٌ لقريش في الخير والشر.

مِن الغُرور، والْحُمْق أن يَفْتَخِر أحَدٌ مِن العرب على أحد من العجم بِمُجرّد نَسَبِه، أو حَسَبِه، ومَن فَعَل ذلك فإنه مُخطئ جاهِل مغرور! فَرُبّ حَبَشِيّ أفضل عند الله من ألُوف مِن قُريش. قال الله تعالى في مثل ذلك :

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) .

وقال تعالى (وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ)، (وَلأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ) .

حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا وتجدون خير الناس في هذا الشأن أشدَّهم له كراهية، وتجدون شر الناس : ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه ويأتي هؤلاء بوجه).

والمعادن مختلفة الأنواع فمنها ما هو ردئ خسيس ومنها ما هو عظيم نفيس وكذلك الناس .. وهي دعوة إلي الخير والعظمة والنفاسة لكي يعظم خيرك عند الله .. والبعد عن النذالة والشرور والخساسة بجميع صورها غير أن الحديث اختص من الشر ذا الوجهين، ومن الخير أصحاب الفقه والعقول الموزونة الذين يخافون مقام ربهم .

من كان شريفاً في الجاهلية فهو بالنسبة لأهل الجاهلية رأس؛ فإن أسلم استمر شرفه وكان أشرف ممن أسلم من المشروفين في الجاهلية كما وضح صاحب اللؤلؤ والحديث يدل على أن الشرف الإسلامي لا يتم إلا بالتفقه: (وعلي هذا ينقسم الناس أربعة أقسام مع ما يقابلها .... الأول: شريف في الجاهلية أسلم وتفقه ... يقابله مشروف في الجاهلية لم يسلم ولم يتفقه ... الثاني: شريف في الجاهلية أسلم ولم يتفقه ... ويقابله مشروف في الجاهلية لم يسلم وتفقه .... الثالث: شريف في الجاهلية لم يسلم ولم يتفقه ويقابله مشروف في الجاهلية أسلم ولم يتفقه ... الرابع: شريف في الجاهلية لم يسلم وتفقه ويقابله مشروف في الجاهلية أسلم ولم يتفقه.

من ذلك أرفع الأقسام من شرف في الجاهلية ثم أسلم وتفقه، يليه من كان مشروفاً في الجاهلية ثم أسلم ولم يتفقه، يليه من كان شريفاً في الجاهلية ثم اسلم ولم يتفقه ... يليه من كان مشروفاً في الجاهلية ثم أسلم وتفقه ... ومن لم يسلم فلا اعتبار به سواءً كان شريفا أو مشروفاً ، سواء تفقه أو لم يتفقه). فإذا كانت الأصول شريفة كانت الفروع كذلك غالبا.

ذكر صاحب اللؤلؤ أن من خير الناس في هذا الشأن: أي الولاية والإمرة أشدهم له كراهية: أي إن الدخول في عهدة الإمرة مكروهة من جهة تحمل المشقة فيه، إنما تشتد الكراهة له ممن يتصف بالعقل والدين لما فيه من صعوبة العمل بالعدل وحمل الناس على رفع الظلم ولم يترتب عليه من مطالبة للقائم به من حقوقه وحقوق العباد، ولا يخفي خيرية من خاف مقام ربه.

أما شر ذي الوجهين: لأن حاله حال المنافق إذ هو متملق بالباطل والكذب مدخل للفساد بين الناس قال النووي : (هو الذي يأتي كل طائفة بما يرضيها ومخالف لضدها وصنيعه نفاق ومحض كذب وخداع وتحايل علي أسرار الطائفتين وهي مداهنة محرمة قال فأما من يقصد بذلك الإصلاح بين الطائفتين فهو محمود) وقال غيره: الفرق بينهما أن المذموم من يزين لكل طائفة عملها ويقبحه عند الأخرى، ويذم كل طائفة عند الأخرى، والمحمود أن يأتي لكل طائفة بكلام فيه صلاح الأخرى ويعتذر لكل واحدة عن الأخرى، وينقل إليها ما أمكنه من الجميل ويستر القبيح.

انظر لهذا الذي ينكبُّ على الدنيا ينسى فيها كلَّ شيء، يجعل كسب المال دينَه، يجعل همَّه التفوُّق فيها، هي عنده منتهى الآمال ومحطُّ الرحال، هي كل شيء، هذه أكبر مغامرة أو مقامرة يقع الإنسانُ في حبالها، لأنه

لسبب أو لآخر، لسبب بسيط أو جليل تنتهي حياتُه، فإذا انتهت حياته قدِم على الآخرة وهو صفرُ اليدين، ينطبق عليه قولُ الله عز وجل يصف الكافرَ النادم إذ يقول حينما يقدم الموت:

(يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) (24) [سورة الفجر]

لذلك يقول عليه الصلاة والسلام

((خيركم من لم يترك آخرته لدنياه، ولا دنياه لآخرته، ولم يكن كلا على الناس))

الإنسان الخير في خدمة الناس، وليس كلاً عليهم، يعطي ولا يأخذ، يبذل ولا يستجلي، عنصره إيجابي، يخدم مجتمعه، ينفع الناسَ، ينصح الناس، يقدِّم لهم كل شيء، بل إن قمم البشر والأنبياء الذين أعطوا ولم يأخذوا، والذين يقعون في حضيض البشرية هم المنحرفون الذين أخذوا ولم يعطوا، فإذا كنت ممن تعطي وتأخذ فهذا حالٌ وسطي، شريطة أن تكون متقيِّدا بشرع الله عز وجل الذي يضمن الحدود اللازمة للإنسانية وعيش الدنيا والآخرة.

من هنا أمسك النبي عليه السلام بيد عبد الله بن مسعود وكان خشنةً، بسبب عمل شاق يعمل به، رفع هذه اليد بين أصحابه وقال: إن هذه اليد يحبها الله ورسوله" من هنا كان يقول سيدنا عمر رضي الله عنه: إني أرى الرجل لا عمل له فيسقط من عيني " فكسب الرزق والتفوق في الحرفة والإتقان في العمل جزءٌ من الدين، وإذا أردت الدعوة إلى الخير والفلاح فالناس لن يحترموا مهملاً أو مقصِّراً في عمله، وإذا تفوَّقت في عملك احترم الناس سائر عملك.

حديثٌ آخر يبدأ بقول النبي عليه الصلاة والسلام: خيركم،

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَفَ عَلَى أُنَاسٍ جُلُوسٍ فَقَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ قَالَ فَسَكَتُوا فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ رَجُلٌ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا قَالَ خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ))

الناسُ بفطرتهم إذا تعاملوا مع الإنسان الخير رأوا فيه من الطيبة و الخير والإنصاف والعدالة الوقوف عند حدود الله والخوف الشديد من الله ... رأوا من ورعه واستقامته وجهاده وفضله الشيءَ الكثير، لذلك يرتاحون له، وينامون على ريش النعام إذا تعاملوا معه، لا يقلقون ولا يخافون بطشه، لا يخافون كيده، لا يخافون احتياله، لا يخافون كذبه، لأنه لا يكذب ولا يغش ولا يحتال ولا يغدر ولا يطعن ولا يسلم.

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ))

يا موسى خف ثلاثة؛ خفني وخف نفسك وخف من لا يخافني " فإذا تعاملت مع من يخاف الله لا تقلق، لن يأخذ فوق حقِّه أبدا، لن يطعن، لن يغش، لن يغدر، لأنه عرف الله الواحد الديَّان.

لو أننا عشنا في مجتمع إيمانه كامل لكنا في حياة اسعد من هذه الحياة، ترتاح أعصابُنا، كل شيء معركة في هذه الحياة، لو أردت أن تشتري حاجة إنك تتوقَّع الغشَّ والاحتيال والكذب والغبن وكل شيء، حياةٌ مشحونة بالمتاعب، أما لو عست بين أناس صادقين كما وجَّه النبي الكريم

((عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ))

النبي عليه السلام يصف المؤمن فيقول: من عامل الناس فلم يظلمهم، و حدَّثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوَّته وحرمت غيبته.

لا ينبغي للرجل العاقل أن يظن البطولة إذا خافه الناسُ إذا خاف الناسُ شرَّه، إذا اتَّقاه الناس مخافة شره، لأن النبي عليه السلام يقول،

((عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ فَقَالَ ائْذَنُوا لَهُ فَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ أَوْ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الْكَلَامَ فَقُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْتَ مَا قُلْتَ ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي الْقَوْلِ فَقَالَ أَيْ عَائِشَةُ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ))

هذا الذي يُخشى أن يظلم، يُخشى أن يبطش، يخشى أن ينقل خبراً يسبب كارثة، هذا إنسان ليس مؤمناً إطلاقا، لأن المؤمن يُرجى خيره ويؤمن شره، وشر الناس من لا يرجى خيره ويؤمن شره، فأنت من خلال إيمانك، واستقامتك، وتعاملك مع الناس يستشفُّ الناسُ حقيقتك وبنيتك وجوهرك فيرتاحون لك.

حديث آخر يبدأ بقوله صلى الله عليه وسلم خيركم، مشكلة الدَّين مشكلة المشكلات، لأن الناس في علاقاتهم المالية يحتاجون إلى أن يأخذوا وإلى أن يعطوا، أما إذا ماطل المدين في دفع ما عليه، يمنع الخيرَ، هؤلاء الذين يمنعون الماعون هم الذين يسيئون للمحسنين حتى يرتدع المحسنون عن فعل الخير، تروي قصص العرب أن لصَّاً من لصوص الخيل كان في الصحراء، مرَّ فارسٌ على ظهر جواده فشكا له الفقرَ والخوف، شكا له حرَّ الصحراء اللاهبة، رقَّ له هذا الفارسُ ودعاه إلى ركوب الخيل ما إن امتطى ظهر الخيل خلفه حتى دفعه وألقاه من على ظهرها وعدا بالخيل لا يلوي على شيء، ناداه صاحب الفرس، قال: يا هذا لقد وهبت لك هذه الفرس ولن أسأل عنها بعد اليوم، ولكن إياك أن يشيع هذا الخبر في الصحراء فتذهب منها المروءة، وبذهاب المروءة يذهب أجمل ما فيها " أحياناً الإنسان يقرض قرضاً يأكله عليه المدين، يسكن إنساناً في بيته يستعصي به، هذه الأعمال المخالفة للشرع تضعف فعلَ الخير بين الناس، هذا ما عناه الله بقوله تعالى:

(وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) (7) [سورة الماعون]

كل من يسيء للمحسن سوف يمنع خيراً كثيراً ربما عمَّ المجتمع.

قد تعجبون حينما يقول النبي عليه الصلاة والسلام

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ اسْتَقْرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِنًّا فَأَعْطَاهُ سِنًّا خَيْرًا مِنْ سِنِّهِ وَقَالَ خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ قَضَاءً))

إن قضاء الدين نوع من الكرم الخفي، لأن إذا أقرضت وجاء المدين وسدَّد لك القرض في وقته المناسب، هذا يقوِّي معنوياتك، ويقوي فعل الخير عندك، مما يعينك على أن تقرض الناس مرة ثانية، لكن إنساناً واحدا يخلف الوعد ويماطل وهو يملك، هذا الذي يمنع الخير بين الناس، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ اسْتَقْرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِنًّا فَأَعْطَاهُ سِنًّا خَيْرًا مِنْ سِنِّهِ وَقَالَ خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ قَضَاءً))

إذا رأيتم أن فعل الخير قد انحصر، وأن الناس زهدوا في الخير، وقعوا في سوء الظن المبالغ به، إلى درجة أنهم يسيئون الظنَّ بأقرب الناس إليهم، معنى ذلك أن الذين أساؤوا للمحسنين والذين أخلفوا وعودهم معهم، والذين قابلوا الحسنة بالسيئة هم وراء هذه المشكلة الخطيرة.

يقول عليه الصلاة والسلام: خير ما يخلف الإنسان بعده - قد تترك أموالا طائلة، قد تترك أموالا منقولة وغير منقولة، قد تترك ضياعاً كثيرة، بيوتات كثيرة، محلات كثيرة، عملات كثيرة، يقول عليه الصلاة والسلام،

((خَيْرُ مَا يُخَلِّفُ الرَّجُلُ مِنْ بَعْدِهِ ثَلَاثٌ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ وَصَدَقَةٌ تَجْرِي يَبْلُغُهُ أَجْرُهَا وَعِلْمٌ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ))

هذه الثروة الحقيقية، هذا المجد المؤثَّل، هذا الكسب الحقيقي، أن تغادر الدنيا ولك من بعدك خليفةٌ يدعو إلى الله، أن تغادر الدنيا ولك من بعدك ولد صالح يدعو لك، أن تغادر الدنيا، وتركت علما ينتفع به، أن تغادر الدنيا وصدقةٌ جارية يبلغك أجرها إلى يوم القيامة، قال تعالى:

(لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ) (61) [سورة الصافات]

وقال تعالى :

(وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (26) [سورة المطففين]

قال تعالى:

(قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) (58) [سورة يونس]

شُرَّاح الحديث قالوا: خير المتعلِّمين وخير المعلِّمين في حياتنا الاجتماعية وفي الحياة اليومية نشاطات عدَّة، هناك نشاط تجاري، هناك نشاط صناعي، هناك نشاط زراعي، هناك نشاط تعليمي، قطاع التعليم، النشاط التعليمي يقع في قمَّة من يعمل في النشاط التعليمي، من تعلم القرآن وعلمه، لماذا ؟ لأن كلام الله خير كلام، قد تدرِّس كلاماً لبني البشر، قد تدرس أحداثاً، وقائع، معلومات توصَّل إليها الناس من خلال بحوثهم وتجارهم، إذا كان نشاطك العلمي والتعليمي، أو نشاطك التعلُّمي والتعليمي متعلِّقاً بصفات وتوجهات راقية.

يقول الإمام الطيبي: لا بد من تقييد التعلم و التعليم بالإخلاص، حتى نصل إلى الخيرية التي أشار إليها نبينا عليه الصلاة والسلام.

لذلك أيها الإخوة اجعل نشاطك التعليمي والتعلُّمي متعلِّقا بتلك الصفات.

ولا تنس أخي الكريم المقولة الرائعة التي تقول: إذا أردت أن تعرف مقامك فانظر فيما استعملك " ما دورك الاجتماعي ؟ ما وظيفتك في الحياة، بماذا أقامك اللهُ عز وجل ؟

الحديث الأخير يا أيها الإخوة الأكارم ؛ يقول عليه الصلاة و السلام فيما يقول في الحديث الصحيح، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا))

يجب أن تفرِّق بين إنسان وغيره من أخلاقه، من وعده ومن استقامته من أمانته من صدقه من وفائه من إنصافه، شُرَّاح الحديث قالوا: البِشرُ والتودُّد والشفقة والحلم والصبر وترك الكِبر وترك الاستطالة على الناس ومجانبة الغلظة والغضب والحقد والحسد، هذا كلُّه يتأتَّى من اتصال الإنسان بالله عز وجل لأن الله سبحانه وتعالى مكارم الأخلاق مجموعة عنده تعالى، فإذا أحبَّ الله عبدا منحه خلُا حسناً، لهذا كان أفضل النبيين النبيُّ عليه الصلاة و السلام أحسنهم خلقاً، قال تعالى:

(وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (4) [سورة القلم]

إذا خلت حياةُ الإنسان من حسن الخلق وبقيت قناعاته وأفكاره وعواطفه واهتماماته بعيدة عما هو متفق عليه فهو أبعد الناس عنها ، إذا خلت حياة الإنسان من حسن الخلق إن لم يكن منصفاً، إن لم يكن وقَّافاً عند الحدود ، إن لم يكن وفيَّاً، إن لم يكن أميناً، إذا خلت حياته من حسن الخلق وظن أن قناعاته يعني ثقافته ، مشاعره ، اهتماماته ، هذا ما عرف من الأخلاق شيئاً، لأن الإمام جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه و أرضاه حينما سئل عن حسن الخلق، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ

((لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّجَاشِيَّ..... قَالَتْ فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنْ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ))

بماذا عرَّف الإمام جعفر رضي الله عنه ؟ عرَّفه للنجاشي بحسن الخلق.

نحن أيها الإخوة الأكارم أحوج ما نكون إلى حسن الخلق، فإذا أَساء أساء لدينه، أنت على ثغرة - كما قال عليه الصلاة و السلام:

((أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك))

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن الموت قد تخطّانا إلى غيرنا وسيتخطَّى غيرنا إلينا، فلنتَّخذ حذرنا، الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

قال تعالى: في القرآن الكريم:

(وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ) (20) [سورة المؤمنون]

وفي آية ثانية يقول الله جل جلاله:

(يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) [سورة النور]

وقف العلماء عند هاتين الآيتين، أمام هذه الشجرة المباركة، شجرة الزيتون، وحيال زيتها، بعض العلماء لعدم اطِّلاعهم أو تحقُّقهم من خيرية هذه الشجرة ظنوا أن المواد الدسمة التي تنتجها موادُ ضارَّة، لكن القرآن الكريم وسنة النبي عليه الصلاة والسلام يقول عليه الصلاة و السلام في الحديث الصحيح عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ))

وفي حديث آخر، عَنْ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

((ائْتَدِمُوا بِالزَّيْتِ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ))

البحوث العلمية الصحيحة التي ظهرة تؤكَّد أن زيت هذه الشجرة وقودٌ للإنسان، ففي كل جرام من زيت الزيتون ثماني وحدات حرارية تعدُّ طاقة مثلى للإنسان، علماء التغذية قالوا: الأحماض الدهنية غير المُشبعة؛ تبقى عالقة في الدم، وتسبب تصلب الشرايين فسبَّبت تضيُّقها وسببَّت تصلُّبها، وسبَّبت ضعف القلب، المواد الدهنية المشبعة ضارة للإنسان، لكن المواد الدهنية غير المشبعة التي تتوازن حينما تتواجد

بقية أنواع الدهنيات، العلماء وصفوا زيت الزيتون بأنه يحتوي على أحماض دهنية غير مشبعة تفيد الجسم وتمنع الترسبات على جدر الشرايين الدموية، بعكس الأحماض الدهنية المشبعة الموجودة في أكثر الزيوت الحيوانية، لذلك ينصح الأطباء تناول الإنسانُ ملعقة من زيت الزيتون كل يوم يقي من تصلُّب الشرايين ويعالج تصلّب الشرايين، هذا الزيت يطلق البطنَ ويسكِّن أوجاعه، و أغلب الدهون الحيوانية غير زيت الزيتون يزعج المعدة، إلا زيت الزيتون، وهو مقوٍّ للُّثة و الأسنان مليِّين للجلد، من شجرة مباركة، لكن الذي يعجب له الإنسانُ أن الأطباء لا سيما أطباء القلب بعد حين اكتشفوا أن زيت الزيتون مفيدٌ للشرايين، يليِّنها ويدفع عنها تصلُّبها، وأن زيت الزيتون يحتوي على أحماض دهنية غيرُ مشبع لا تترسَّب على جدر الأمعاء، ولا تسبب تضيُّقاً في الشرايين و لا تصلُّباً لها، هذا معنى قول الله عز وجل:

(وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ) (20) [سورة المؤمنون]

و في آية أخرى قال تعالى

(يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ) [سورة النور]

و في آية ثالثة، قال تعالى:

(وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3)) [سورة التين]